ALBAHITH ALALAMI

Vol. 17: Iss. 69, 2025, PP. 117-144

E-ISSN: 2617-9318
P-ISSN: 1995-8005

College of Mass Communication
University of Baghdad

Sports Songs of Arab Ultras Groups as a Space for Political Expression: Analytical Study

Abdellatif Moukar[1a] **Fadhila Toumi**[1b]

[1]University Kasdi Merbah, Ouargla, Algeria.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract

Objectives: This study sought to identify the contents of the sports songs of Arab Ultras groups, focusing on their political character and role in social and political expression.

Methodology: The study analyzed eight politically themed sports songs of Ultras groups in Egypt, Algeria, Morocco, and Tunisia using content analysis to extract categories directly from the songs' content.

Results: The findings showed that the dominant element in political sports songs of Ultras is resistance, as they serve as a means of challenging and confronting ruling political regimes, reflecting rejection of the lived reality.

Conclusion: The study confirmed that the Ultras social movement has succeeded in using sports songs as a public oppositional space for political expression, reflecting the role of sports culture in stimulating political and social activism among youth.

Keywords: Songs, Sports, Ultras, Politics.

OPEN ACCESS

[a] **Corresponding author**: E-mail address: moukar.abdellatif@univ-ouargla.dz, +213 666 04 25 25

[b] **Co-author:** E-mail address: toumi.fadila@univ-ouargla.dz, +213 659 53 05 08

DOI: https://doi.org/10.33282/abaa.v17i69.1252

Received: 21/12/2024**, Revised:** 01/09/2025, **Accepted:** 01/09/2025**, Published:** 28/09/2025

الأغاني الرياضية لمجموعات الألتراس العربية كفضاء للتعبير السياسي: دراسة تحليلية

عبد اللطيف موقار[1] فضيلة تومي[1]

[1]جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

مستخلص

الأهداف: سعت هذه الدراسة إلى التعرّف على مضامين الأغاني الرياضية لمجموعات الألتراس العربية، مع التركيز على الطابع السياسي لتلك الأغاني ودورها في التعبير الاجتماعي والسياسي.

المنهجية: اعتمدت الدراسة على تحليل ثماني أغانٍ رياضية ذات طابع سياسي لمجموعات الألتراس في كل من مصر، الجزائر، المغرب، وتونس، وذلك باستخدام تحليل المضمون لاستخراج الفئات المستخلَصة مباشرةً من محتوى الأغاني.

النتائج: أظهرت النتائج أن الأغاني الرياضية السياسية للألتراس يغلب على مضمونها عنصر المقاومة، إذ تُعَدّ وسيلةً للتحدي والتصدّي للأنظمة السياسية الحاكمة، وتعكس رفضًا للواقع المعيش.

الخلاصة: أكدت نتائج الدراسة تمكُّن حركة الألتراس الاجتماعية من استخدام الأغنية الرياضية كفضاءٍ عموميٍّ معارض يتيح التعبير السياسي، مما يعكس دور الثقافة الرياضية في تحفيز النشاط السياسي والاجتماعي لدى الشباب.

الكلمات المفتاحية: الأغاني، الرياضة، الألتراس، السياسة.

مقدمة

أصبحت التظاهرات والمحافل الرياضية مجالًا حرًا للجماهير، إذ نشأت مجموعات الألتراس التي تنظم تجمعاتها دوريًا، مستخدمةً الأغاني الرياضية وسيلةً للتعبير تتجاوز نطاق الرياضة، لتشمل مضامين سياسية واجتماعية.

وعلى الرغم من أن الظاهر يوحي بأن الرياضة والسياسة عالمان مختلفان عن بعضهما، لكلٍّ منهما قوانينه التي تحكمه، فإننا نجد أنهما أحيانًا يلتقيان وتشابكان إلى درجة التداخل وتأثير أحدهما على الآخر (Zaimakis, 2018, p. 252) ولا سيما في العالم عمومًا، والوطن العربي خصوصًا، ويؤكد هذا اندماج المقاومة الأيديولوجية للجماهير خلال مباريات كرة القدم مع نوع آخر من التمرّد الذي يقوده الشباب، ممن كسروا قيود السلطة الأبوية، فالمعنى السياسي لهذه العملية الاجتماعية

كبير وهائل؛ إذ جرّب الشباب الخروج عن المألوف المتمثل في الانصياع القبلي لإرادة الوالدين والأجداد في المنزل، والانقياد للديكتاتوريين القدامى في المجال العام، بمجرد العثور على ساحة اجتماعية تُتيح للفرد تحرير الذات من السائد الذي ينطوي على تفكك متطابق للسلطة في مختلف العلاقات الاجتماعية. وهذا ما تحقق فعلًا في صفوف جماهير كرة القدم، التي باتت وسيلة أساسية لتجربة استقلالية الشباب، مما أضفى على كرة القدم إمكانيات سياسية زلزالية.

لقد ترك أنصار الألتراس بصمة واضحة في الأحداث والتطورات السياسية والاجتماعية في الدول العربية، تجلى أبرزها في دورهم الحاسم خلال الثورة المصرية والتونسية، وغيرها من الأحداث العربية الأخرى.

وانتقلت خطابات أغاني الجماهير الرياضية من الملاعب إلى ساحات الثورة والحراك الشعبي في أرجاء المنطقة العربية، على غرار الشعارات والأغاني التي ردّدها الجمهور في حراك الجزائر وثورتي تونس ومصر (Tuastad, 2014, p. 376)، ويُلاحظ المتتبع لهذه الظاهرة التأثيرات المباشرة وغير المباشرة لكرة القدم على التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأخيرة في الدول العربية، بما في ذلك الربيع العربي.

وما قرار الفيفا بتنظيم كأس العالم 2022 في قطر إلا دليل على هذه التحولات الثقافية، وذلك بفضل موقعهم بين الثقافات، مما جعل كرة القدم ساحة تلتقي فيها الخطابات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية (Awad, 2016, p. 1).

ومن خلال ما سبق، يتضح أن خطابات الأغاني الرياضية ذات الطابع السياسي في ملاعب كرة القدم شكّلت رفضًا صريحًا وردًّا على تردّي الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأصبحت مجالًا لممارسة السلطة المضادة والمعارضة، من خلال منتجات صناعة ثقافية تحمل دلالات قوية تشرح الواقع وترفضه، وتتصدى للخطاب الرسمي الذي تروّج له السلطة من مختلف قنواتها.

لقد سعت هذه الأغاني بوصفها ممارسة اجتماعية وثقافية أحيانًا إلى التنفيس عن القلق الوجودي، والتعبير عن التذمّر من الواقع، بل دعت في أحيان كثيرة إلى إعادة بناء الحسّ المشترك الغائب عن الفضاء العام الرسمي، الذي قوضته السلطة الحاكمة، وتجلّت في هذه الخطابات علاقات السلطة الاجتماعية، وما يرتبط بها من صراعات على إنتاج المعنى، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، وما صاحبها من اضطرابات مجتمعية، وأسهمت الأغاني الرياضية السياسية في إضفاء طابع الفرجة والتعبير الفني في المدرجات، ثم انتقلت لاحقًا إلى الفضاء الافتراضي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، إذ لاقت انتشارًا واسعًا وتفاعلاً كبيرًا، لتصبح منصة تعبّر من خلالها فئة واسعة من الشباب العربي عن رفضهم للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتجسيدًا لخطاب الصراع بين الجمهور والسلطة.

الإطار المنهجي

أولًا: مشكلة الدراسة

ننطلق في تحديد مشكلة الدراسة من تشخيص الظاهرة محل الدراسة، والمتمثلة في أغاني مجموعات الألتراس، والتي تُعد أحد أكبر التجمعات الاجتماعية وأكثرها وضوحًا في العالم (Doidge et al., 2020, p. 187)، كما شكّلت مخرجات ثقافة الألتراس العالمية في كرة القدم مجالًا مهمًا للتعبئة السياسية في السنوات الماضية، ولا سيما في منطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط، إذ تزامن ذلك مع الأحداث السياسية والاجتماعية التي شهدتها المنطقة، وقد انتقلت هذه الثقافة من إطار التشجيع الرياضي والترويح النفسي، الذي مارسته جماعات الألتراس لمختلف الفرق الرياضية العربية إلى الساحات التي كانت مهدًا للثورات والحراك الشعبي.

وبذلك صُنِّفت ضمن الخطابات الاحتجاجية الناقدة والرافضة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في تلك البلدان. وقد احتل مشجعو كرة القدم العربية، على وجه الخصوص، مركز الصدارة في الاحتجاجات ضد النظام السياسي، بتعابير فنية مختلفة ورائعة تمثلت إحداها في الأغاني الرياضية السياسية، والتيفوهات، والعروض الفنية في المدرجات، ناقمة على الوضع ومشرحة وناقدة له (Gibril, 2015, p. 305).

وجدير بالذكر أن صناعة الفرجة والاستعراض، التي تقوم بها مجموعات الألتراس في مدرجات ملاعب كرة القدم العربية، والمعاني المنتجة والمتضمّنة في أغانيها الرياضية، لم تَعُد رهينة الزمان والمكان، بل انتقلت إلى الفضاء الرقمي، وأصبحت متداولة ومتاحة، فتوسعت قاعدتها الجماهيرية، وتسللت إلى الحياة اليومية للأفراد والجماعات، وكسبت عواطفهم، وأسرت أحاسيسهم، وعبّرت عن آلامهم وآمالهم، وأصبحت شكلًا من أشكال المقاومة والتصدّي، ضمن سيرورة التحوّل السياسي في الوطن العربي، محقّقةً بذلك شعار "**النشيد يرافق الثورات، وكفاح الثورة عبر الأغنية أيضًا**"(الهادفي، 2020، صفحة 175).

ومن أجل معالجة هذه المشكلة البحثية وتحليل أبعادها، يمكن تحديد الإشكالية التالية من خلال توظيف أداة تحليل المضمون لبعض خطابات الأغاني الرياضية السياسية لمجموعات الألتراس العربية، سعيًا للكشف والتقصي عن مدلولاتها الظاهرة والخفية، انطلاقًا من كونها ممارسة وفعلًا اجتماعيًا أنتج في السياق العربي، وفي إطار نسقي يشرح ويصف العلاقة بين السلطة والجمهور.

ومن هذه الزاوية، ننطلق بحثيًا من التساؤل الجوهري الآتي: **كيف تحولت الأغاني الرياضية لمجموعات الالتراس العربية إلى فضاء للتعبير السياسي؟** ويتفرع من هذا التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:

1. كيف وصفت الأغاني الرياضية السياسية لمجموعات الالتراس العربية صورة الأنظمة الحاكمة والفاعلين السياسيين في المنطقة؟

2. كيف كان تشخيص مضمون الأغاني الرياضية السياسية لمجموعات الالتراس العربية للوضع الاجتماعي في المنطقة العربية؟
3. ما الانعكاسات التي خلفتها الأوضاع الاجتماعية، والتي عبّرت عنها مجموعات الالتراس العربية في أغانيها السياسية؟
4. كيف تصدّت الأغاني الرياضية السياسية لمجموعات الالتراس العربية للسياسات العربية القائمة؟

ثانيًا: أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تدرس العلاقة بين الرياضة والسياسة، من خلال تحليل الأغاني الرياضية التي لمجموعات الألتراس العربية، وتكشف عن كيفية تحوّل هذه الأغاني إلى وسيلةٍ للتعبئة السياسية والتعبير الاجتماعي، مع إبراز الرسائل المباشرة والمشفّرة التي تحملها، والدوافع الكامنة وراء إنتاجها، مما يُسهم في فهم الواقع المعيش والوضع الراهن في الوطن العربي.

ثالثًا: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الدلالات والمعاني في الأغاني الرياضية السياسية لمجموعات الألتراس العربية، وفهم الخلفيات السياسية والاجتماعية والثقافية التي دفعت الجماهير إلى إنتاج هذه الأغاني، وكيف حوّلت الألتراس فضاءها الرياضي إلى منصة سياسية تنتقد السلطة وتواكب الأحداث في الوطن العربي، وذلك من خلال تحليل عيّنة من أغاني الألتراس في بلدان عربية عدّة.

رابعًا: الدراسات السابقة

سعت دراسة Francesco Ricatti إلى وصف الأغاني المخصصة لأنصار فريق كرة القدم AS روما لناديهم، وما تحمله من دلالات عاطفية تعبّر عن الحب الكبير لهذا الفريق، وقد كتب بعض هذه الأغاني المغني وكاتب الأغاني الروماني الشهير Antonello Venditti، وبعضها الآخر كتبها مؤلفون ومغنون أقل شهرة، وقد صُنّفت العديد من هذه الأغاني ضمن أغاني الحب، مما يشير إلى أنه بالنسبة للعديد من الرومان لا يوجد شغف كبير من ذلك المُعبَّر عنه تجاه فريقهم لكرة القدم.

ويجادل البحث بأن شغف المشجعين الرومان بفريقهم له تداعيات سياسية عميقة، إذ إن تخصيص مشاعر معيّنة لأفراد أو جماعات من خلال أحداث كرة القدم ومنتجاتها الثقافية، مثل الأغاني علاقات القوة، إذ تُعدّ هذه المشاعر عنصرًا أساسيًا في تشكيل هوية مجموعات ومجتمعات معيّنة، وبالتالي تصبح، بالمعنى الواسع، ذات طابع سياسي(Ricatti, 2016, p. 34)، وتختلف هذه الدراسة عن دراستنا من حيث الخلفية التاريخية (أسبقية الظاهرة) والثقافية لطبيعة الجماهير الغربية وسياقاتها التي تختلف عن تلك التي تحكم أفراد روابط الألتراس الرياضي في الدول العربية.

في حين ركزت دراسة Dag Tuastad على تبيان الدور السياسي لكرة القدم في الوطن العربي، وكيفية تحوّل اللعبة الأكثر شعبية في العالم إلى أداة سياسية لها شأنها في الفضاء العام، فقد أظهرت

الدراسة أن المقاومة الأيديولوجية للجماهير الرياضية اندمجت، خلال مختلف التغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدها العالم العربي في ضروب الثورات الشعبية والحراك المجتمعي، مما أدى إلى انتقالها من ثقافة التشجيع الرياضي إلى المعارضة السياسية، وفقًا لأشكال ومخرجات مختلفة.

وقد سعت هذه الدراسة إلى توصيف تلك التحولات بشكل دقيق، ولا سيّما من خلال تسليط الضوء على مشاركة الألتراس الرياضي الخاصة بالأندية المصرية في الثورة المصرية، وعلى الدور السياسي الذي أدّاه (الأنصار) في الأردن، والذي أثر بشكل حاسم على التطورات السياسية في بلدانهم، وقد وصف البحث هذه الظاهرة بأنها عملية تمثّل تجاوزًا على المحرّمات السياسية، وهي حالات يُمثّل فيها المؤيّدون أكثر من مجرد مقياس للاتجاهات السياسية، ومن أبرز النتائج التي توصّلت إليها الدراسة: أن كرة القدم تمتلك إمكانات سياسية (زلزالية) (Tuastad, 2014, p. 376)، وتختلف هذه الدراسة عن دراستنا في كونها ربطت أغاني الألتراس بالثورات المختلفة والمعارضة السياسية بشكل مباشر، أي أنها عبرت عن جانبها المتطرّف سياسيًا، متجاوزةً البحث في الدلالات والمؤشرات الضمنية، حتى وإن لم تكن هناك تصادمات حتمية نتيجةً لما يعترض عليه أفراد مجموعات الألتراس.

كما اهتمت دراسة Shawki El-Zatmah بالتحليل التاريخي لتنامي ظاهرة مجموعات الألتراس من مشجعي كرة القدم في مصر، بعدّها القوة السياسية الأكثر راديكالية بين القوى الثورية على الساحة التي شاركت في أحداث الثورة وكان لها أثر كبير على مسار الأحداث، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي والتاريخي لتوصيف التطور التاريخي لظاهرة المناصرة الرياضية لكرة القدم، كونها ثقافة اللعبة التي تغيرت، وتماشت مع الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أثرت على الأمة بشكل عام والطبقات الدنيا على وجه الخصوص، وفي أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، بدأ المشجعون الشباب في أندية كرة القدم المصرية الشهيرة في تشكيل مجموعات الألتراس الخاصة بهم والأكثر شعبية بين مجموعات الألتراس هم: Ahlawi Ultras للنادي الأهلي، وWhite Knights Ultras لنادي الزمالك، وYellow Dragon Ultras للنادي الإسماعيلي، وGreen Eagles Ultras للنادي المصري بمدينة بورسعيد، وGreen Dragons Ultras لنادي الاتحاد بمدينة الإسكندرية، وBlue Devils Ultras من نادي غزل المحلة بمدينة غزل المحلة. مع اندلاع ثورة 2011، ومن أبرز ما توصّلت إليه الدراسة: أن جماعات الألتراس تأثّرت هي الأخرى بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، كونها حركة اجتماعية تتأثر بهذه المعطيات وتؤثر فيها، وقد دفعها ذلك إلى التفاعل المباشر مع السياسة، وتصاعد نقدها لنظام الحكم في شكل احتجاجي واضح (El-Zatmah, 2012, p. 801)، ولكن تختلف هذه الدراسة عن دراستنا، إذ إن الأغاني (محل التحليل) كانت في فترة الثورة، وهو ما يُوحي بأن هذه الأغاني لم تكن تعبّرية عن أصحابها ، بقدر ما كانت ردود فعل على أوضاع سياسية متأزمة؛ أي أن الدافع إلى إنتاجها كان سياسيًا مباشرًا بالدراجة الأولى، ولا يحمل الطابع التراكمي الطويل الذي يُنتج مشاعر يُمكن التعبير عنها واستخراج دلالاتها.

في حين استعرضت دراسة Robbert Woltering دور الألتراس المصري في الثورة التي بدأت في 25 يناير 2011، بعدّه من الفاعلين السياسيين الذين يُنسب إليهم الفضل، على نطاق واسع، في أداء دور محوري في الجوانب الجسدية للانتفاضة وتأمين مناطق الاحتجاج، وقد وظف هذا البحث تحليل محتوى مواد مكتوبة تم إنتاجها من خلال حضور الألتراس على الإنترنت، بالإضافة إلى العمل الميداني المتمثّل في إجراء مقابلات في القاهرة آنذاك.

ويؤكد المقال أن ظاهرة الألتراس تطوّرت بشكل طبيعي إلى حركة اجتماعية ثورية، وانطلقت الدراسة من الفرضية القائلة بأنه من أجل فهم ثورة جاءت بشكل غير متوقّع واتخذت شكلاً غير مسبوق من المفيد النظر إلى دور "المشتبه بهم غير العاديين" في تطوّر الأحداث، وتعمّقت الدراسة في السياق الدولي لهذه الظاهرة، وتوصّلت إلى عدد من النتائج، من أبرزها: أن مشجعي كرة القدم المصريين المتحمسين تمكنوا من أداء دور ثوري فاعل، كما أنهم طوروا تماسكًا جماعيًا قويًا، يمكن الشعور من خلاله بتقدير الذات عبر المشاركة فيها بأشكال مختلفة من المقاومة ضد القوى القائمة، واستمرت كمجموعة متماسكة ناهضت من أجل التغيير السياسي في مصر، فخلال الثورة تحوّلت المقاومة فجأة إلى فعل وطني، كما تم التأكيد أن تمثلات الألتراس عبر الإنترنت جعل منها ظاهرة عابرة للحدود الوطنية (Woltering, 2013, p. 291)،

ويكمن الاختلاف في هذه الدراسة في نظرتها إلى الألتراس كتجمّع سياسي حزبي أكثر من كونه تجمّعًا رياضيًا، في حين تسعى دراستنا إلى المحافظة على فكرة أن الأصل في تجمعات الالتراس هو الانتماء الرياضي المشترك، والذي انحرف في سياقات معينة إلى التعبير السياسي، دون أن يُعدّ دليلاً على كونها جماعة سياسية مقاومة.

وقد وظفت دارسة (Hasso, 2018, p. 1423) مقاربة سيميائية واستطرادية لتحليل مئات الصور والأغاني والأناشيد وصفحات الفيسبوك والعروض الحية على مواقع متعددة خاصة لأكبر مجموعتين من مشجعي كرة القدم في مصر – White Knights (تابع لنادي الزمالك الرياضي) وأهلاوي (تابع لـ– النادي الأهلي الرياضي)، واستخدمت هذه الدراسة نهجًا مكانيًا نسويًا يهتم بالتأثير والاختلاف الذكوري لتحليل اللغة والإنتاج الثقافي والممارسات التي تجسد العاطفة والفرح والحب والغضب، وتثبيط الطائفية والعنصرية في إطار دراسة جندرية، ومن بين أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة هي: أن مجموعات الألتراس اكتسبت أهمية كبيرة من خلال مشاركتها في معالجة الشأن السياسي في مصر، والذي صاحب أحداث الثورة ولكن تبتعد هذه الدراسة عن مقاصد دراستنا، كوننا لا نركّز على العامل الجندري في عملية التحليل، إذ إن محتوى الأغاني لا يُظهر أي من الفروقات أو التمييز بين الجنسين، بقدر ما يُظهر مؤشرات رياضية مرتبطة ومحرفة إلى مضامين سياسية.

بينما بحثت دراسة (Turan & Özçetin, 2019, p. 199) في إشكالية الدور الذي أداه نادي مشجعي كرة القدم Çarşı في واحدة من أكبر الحركات الاجتماعية في التاريخ السياسي

التركي، وهي احتجاجات Gezi Park في جويلية 2013، يشير البحث إلى أن دور Çarşı في الحركات الاجتماعية يُعدّ غير عادي، إذ يمكن فهم احتجاجات Gezi Park من خلال صندوق الأدوات المفاهيمي الذي توفره نظريات السياسة الخلافية، ونظرًا لأن ذخيرة العمل، أو التسلسلات المألوفة للعمل معًا، تُعدّ مفتاحًا لفهم الحركات الاجتماعية المثيرة للجدل، فإن الأداء المنظّم والفعّال لمجموعة Çarşı خلال احتجاجات Gezi Park يُبيّن أن المواجهات السابقة مع الشرطة كانت حاسمة من حيث الاضطرابات الاجتماعية، وقد خلصت الدراسة إلى اقتراح أن أعضاء Çarşı الذين اعتادوا بالفعل على إصدار أحكام أخلاقية بشأن مجموعة متنوعة من القضايا السياسية وغير سياسية، يجب أن يُمثّلوا نموذجًا بارزًا لكيفية قيام المؤيدين على المدرجات، ونوادي المعجبين، في تسهيل عمليات التأطير التي وصفها المجتمع بأدب الحركة، وبهذا أثبت البحث الأهمية السياسية للمناصرين الرياضيين في تأطير القضايا السياسية، إلا أن هذه الدراسة تختلف عن دراستنا من حيث تركيزها على ممارسات سياسية حازمة تمثّلت في مواجهات مباشرة مع الشرطة، ولكن الخلفية متأثرة بممارسات حزبية متطرفة، ولو أسقطنا هذه الحالة على دراستنا، فلا يمكن عدّها تعبيرات عن ألتراس رياضي بقدر ما هي تجمّع خاضع يعكس توجّهات المعارضة السياسية في الدولة.

فضلًا عن الدراسات العربية التي ركزت على الموضوع ذاته، من بينها دراسة إيمان نصري وداود شنودة (2016)، التي تناولت إشكالية مفادها: هل الألتراس المصري حركة اجتماعية أم تنظيم؟ وهي دراسة استطلاعية أُجريت على ثلاث عينات عمدية من الجماهير هم: أعضاء الألتراس، وأعضاء الأمن، وبعض الجماهير، وقد تم اختيارهم بطريقة كرة الثلج، ووظفت الدراسة الأدوات البحثية الآتية: المقابلة المفتوحة، والمقابلة المغلقة، والمقابلة البؤرية، وذلك للإجابة عن تساؤلاتها التي سعت إلى الكشف عمّا إذا كان الألتراس حركة اجتماعية أم تنظيمًا إرهابيًا شارك في الأحداث السياسية التي شهدتها القاهرة أيام الثورة، وخلصت الدراسة إلى أن جماعات الألتراس، على الرغم من أن هدفها رياضي في الأساس، قد اختلط بالأحداث السياسية نتيجة للظروف المحيطة، ما أدى إلى انحرافها عن مسارها المسطر، نتيجة العديد من التجاوزات المسجلة ضدها، والانتقادات التي لحقتها من الجمهور وأعضاء الأمن (شنودة، 2016، صفحة 3)، وتختلف هذه الدراسة عن دراستنا في كون منظورها متاثر بثورات الجماهير، وهو ما أفقد الموضوع خصوصيته التي تنطلق من جماعة محددة متمثلة في أفراد الالتراس، وليس في ممارسات شعبية تغطي فئة كبيرة من المجتمع بما فيها أفراد الالتراس.

وفي سياق آخر، تتبعت دراسة (دحمان و زعبار، 2016) الخلفيات والأهداف التي أدّت إلى ظهور حركة الألتراس في المجتمع الجزائري، وغاصت في واقعها، وسلّطت الدراسة الضوء على ظروف نشأة هذه المجموعة، منطلقة من الإشكالية مفادها: هل لحركة الألتراس أثر في تغيير المقوّمات الثقافية للمناصرة المحلية؟، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وأُجريت

على عيّنة قصدية من مجموعات الألتراس في الجزائر، تمثّلت في مجموعة ألتراس (Polina) لفريق أولمبي الشلف الناشط في البطولة الجزائرية المحترفة لكرة القدم، وطبقت أسلوب المقابلة المباشرة المفتوحة مع نواة الألتراس لتقصّي ظروف نشأتها، وتوصلت الدراسة إلى أن مجموعة الالتراس (محل الدراسة) تتمتّع بهوية ثقافية تشكّلت نتيجة جملة من المؤهلات في المجالات الاجتماعية والثقافية، التي شهدت ديناميكية في التطور، وأسهمت في تعزيز التزاوجات الثقافية بين المجتمعات، من خلال المنافسات الرياضية القارية والدولية، وقد حلّت ظاهرة الألتراس بأفكارها ومقوّماتها محلّ التمثّلات الأصيلة (المحلية) السائدة في الهويات الثقافية المتنوعة للمجتمعات. وتختلف هذه الدراسة عن دراستنا في كونها ركزت على مجموعة ألتراس صغيرة داخل بلد واحد، ولم تستطع أن تتعدى إلى دراسة التفاعلات الثقافية في المجتمعات العربية الأخرى لمجموعات الالتراس.

وقد عمدت دراسة (بنيس، 2019) إلى تحليل تمثّلات الخطاب الاحتجاجي للألتراس في المغرب وتأثيراته السياسية، من خلال البحث في سياقات هذا النوع من الخطاب وأبعاده الاجتماعية والسياسية والثقافية، وكذلك في دور المجال الرقمي في بناء هذا الخطاب، ومدى تغيّر السلوكيات، ونمط الاحتجاجات ومستقبلها في المغرب، ووظفت الدراسة مقاربة سوسيولوجية لتحليل الظاهرة وفق نظرية التفاعلية الرمزية، بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وأدوات منهجية مبنية على أسس النظرية المتجذرة تأسست على مقاربة استقرائية للواقع، وركزت الدراسة على الملاحظة لقراءة التفاعلات الخطابية اللغوية الرقمية بين أعضاء مجموعات الالتراس لجمع المعطيات التي ترتبط بمجريات الأحداث والإنتاج الخطابي من سنة 2017 إلى شهر آذار 2019، وقامت الباحثة بتحليل وتوصيف مضمون المتن الخطابي، وتوصّلت النتائج إلى أن ظاهرة الألتراس في المغرب شهدت تحوّلًا بارزًا بعد سنة 2016، إذ تحولت خطاباتها إلى الاحتجاج المباشر والصدامي، واضحت تُشكّل عنوانًا للانخراط في الحياة السياسية والاجتماعية الوطنية والإقليمية، كما تجاوز متن الخطاب الاحتجاجي الحدود السياسية والجغرافية، وصار تعبيرًا رمزيًا تضامنيًا مع شعوب المنطقة المغاربية والعربية، وشكّلت بلاغة الخطابات الاحتجاجية سلاح التحدي والتغيير (بنيس، 2019، الصفحات 159–160)، وتختلف هذه الدراسة كونها اعتمدت منظور التفاعلية الرمزية، الذي قادها إلى دراسة التفاعلات بين أفراد جمهور الألتراس أنفسهم، في حين اهتمت دراستنا بتحليل محتوى الأغاني الرياضية الصادرة عن هذا الجمهور.

خامسًا: نوع الدراسة ومنهجها

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية (Descriptive Research) التي تهتم بوصف الظاهرة أو الواقعة وصفًا دقيقًا وشاملًا وكافيًا لاستخلاص الدلالات والنتائج من أجل الوصول إلى تعميمات بشأن الظاهرة أو الموقف موضوع الدراسة للاستفادة منها في المستقبل (الرفاعي، 2005،

صفحة 122)، وهو ما دفعنا إلى إتباع المنهج الوصفي الذي يهدف إلى تحديد الوضع الحالي لظاهرة معينة، ومن ثم يعمل على وصفها، فهو يعتمد على دراسة الظاهرة كما هي موجودة في الواقع ويهتم بوصفها بدقة، ويُعرّف كذلك بأنه أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة وتصويرها كميًا عن طريق جمع بيانات ومعلومات معينة عن الظاهرة أو المشكلة، وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة (عبد المؤمن، 2008، صفحة 287)، كما يمكن تصنيف هذه الدراسة على أنها من البحوث الكمية التي تهتم ببحث الظاهرة وأسبابها والآثار المترتبة عليها (Wimmer & Dominick, 2013, p. 48)، مستندة أحيانًا بقراءات كيفية ناتجة من اكتساب الباحث لسياق إنتاج هذه الأغاني، إذ يعد الاستدلال الاستقرائي ورؤية الباحث عنصرين بارزين لعملية للتحليل (Koh & Owen, 2000, p. 221)، كما سيردّ في تحليلنا للعينة المدروسة، ومن هذا المنطلق فقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي، الذي لا يكتفي فقط بوصف الظاهرة، وإنما يتعدى ذلك إلى البحث في الأسباب والتفسيرات، معتمدًا على أداة تحليل المحتوى، من خلال عملية استخراج وحدات وفئات، انطلاقًا من الدراسة الاستطلاعية في البداية، ومن ثم تجسيدها كميًا في الجداول المناسبة لرصد ذلك، وقد تم تعزيز عملية التحليل أو التفسير الكيفي في بعض المنعرجات، من خلال ما يمتلكه الباحث من سياق عربي يُؤهّله لفهم السياق الثقافي في خطابات جمهور الألتراس.

سادسًا: مجتمع الدراسة وعينتها

مجتمع الدراسة هو عبارة عن مجموع الأغاني الرياضية السياسية لمجموعات الألتراس العربية، والتي لاقت انتشارًا ملحوظًا عبر المنصات الرقمية، وقد اخترنا منها مجموعة من هذه الأغاني، بناءً على مدى انتشارها وصداها بين أفراد المجتمع، إذ تعدت مجالها الرياضي لتتحول إلى خطابات سياسية، وانتقلت من مجموعات الألتراس إلى بقية فئات المجتمع، التي تبنّتها كوسيلة للتعبير السياسي في مواجهة الأنظمة الحاكمة، وقد اعتمدنا هذا التحول كمبرر رئيس لتحديد مفردات مجتمع البحث، أما عن اختيار العينة فقد اعتمدنا معياري نسبة المشاهدات وتحقيق الترند داخل المجال الجغرافي للبلدان العربية، وبناءً عليه تم اعتماد عينة قصدية تمثلت في (8) أغانٍ لمجموعات الألتراس العربية، بمعدّل أغنيتين من كل دولة (مصر، الجزائر، المغرب، وتونس)، كما موضحة في الجدول الآتي:

الدولة	الأغنية	الالتراس
مصر	حكايتنا	التراس الأهلي
	كان دايما فاشل	التراس الأهلي
الجزائر	لاكازا ديل المرادية	التراس اتحاد العاصمة
	عام سعيد	التراس مولودية الجزائر

المغرب	في بلادي ظلموني	التراس الرجاء البيضاوي المغربي
	هذي بلاد الحقرة	التراس اتحاد طنجة المغربي
تونس	لا خدمة لا كرة كان الزطلة في كل دورة	التراس الترجي الرياضي التونسي
	حكايات علينا صاروا	التراس النادي الافريقي التونسي

سابعًا: أداة الدراسة

استخدمنا أداة تحليل المحتوى بصفتها أداة منهجية مهمة في تصنيف الأفكار، وترتيبها، وتحليلها، من خلال تحويل بيانات كيفية إلى بيانات كمية، يسهل التعامل معها إحصائيًا، ومن ثم استخراج النتائج منها، ويُعد تحليل المحتوى أسلوبًا كميًا استنتاجيًا نموذجيًا للمقاييس المطبقة على الرسائل بطريقة موضوعية وموثوقة، ويتضمن خيارين لتحليل المحتوى: الترميز البشري والترميز الحاسوبي لمحتوى الرسالة (Neuendorf, 2018, p. 211)، ويُعرّفه (موريس أنجرس) بأنه تقنية غير مباشرة تُطبّق على مادة مكتوبة، مسموعة، أو بصرية، يُعرض محتواها بشكل غير رقمي، وتسمح بالقيام إمكانية إجراء تحليل كمي أو كيفي (أنجرس، 2008، صفحة 218)، كما يُعد تحليل المحتوى النوعي طريقة يمكن توظيفه على مستويات مختلفة من التجريد والتفسير (Graneheim et al., 2017, p. 29).

ثامنًا: وحدة التحليل

تُعد الفكرة وحدة منطقية من وحدات القياس؛ فقد تكون هذه الفكرة: التضحية، أو المشاركة، أو المنافسة، أو الكفاح، وقد يحمل المقطع أو الجملة أو الفقرة أكثر من فكرة واحدة (المشاقبة، 2014، صفحة 91)، وعليه تمّت عملية التحليل بناءً على فكرة المقطع كونها وحدةً مهمة في تسجيل الفئات وتكراراتها في هذا النوع من المضامين، وذلك من خلال تقسيم الأغاني المكوّنة لعينة الدراسة إلى مجموعة من المقاطع الصوتية، وفقًا لطريقة أدائها الفني، على غرار تقسيم النصوص الشعرية إلى أبيات.

تاسعًا: فئات التحليل ووحداته

لا تُغطي الفئاتُ الجاهزةُ للتحليل، والتي تخصّ الإجابة عن الأسئلة "ماذا قيل؟" و"كيف قيل؟"، المحتوى المراد دراسته بدقة، وبحكم أن تحديد الفئات عمليةٌ مرنةٌ للغاية ما دامت تراعي متطلباتِ الدراسة، لذلك وجب علينا اللجوء إلى طريقة استخراج الفئات من المضمون مباشرةً، وذلك عن طريق القراءة الاستكشافية المتكررة (تمار، 2017، صفحة 43)، وتُعتمَد هذه الطريقة أساسًا عندما يكون الهدف هو استخراج وحدات وفئات مستمدة من المحتوى ذاته، وليس من استخدام فئات جاهزة من قبل، إذ يكشف التكرار في الاطّلاع على المحتوى الجزئيات المتكررة، والتي يعتمد عليها الباحث في تحديد فئاته وحساب تكراراتها. ويتمّ كل ذلك في ضوء تساؤلات الدراسة، بهدف الوصول إلى توافقٍ بين الفئات وأهداف الدراسة، وهو ما أفرز لنا الفئات الآتية:

1. **فئة أفعال السلطة:** نقصد بها مجموعة الأفعال الصادرة عن النظام الحاكم، والتي أظهرتها أغاني "الألتراس" بطابعٍ سلبي، من خلال التكرار المتعدد لدلالات ومعانٍ محددة، مثل: الظلم، والجرائم المرتكبة، والتحدث عن أساليب الغدر والخداع، واللجوء إلى سياسة التهديد لضمان الانصياع للنظام السياسي القائم.
2. **فئة ممارسات المسؤولين:** نقصد بها الممارسات الاستغلالية والانتهازية التي يقوم بها الفاعلون السياسيون داخل النظام الحاكم، بهدف حماية مصالحهم الشخصية، وذلك من خلال ما يمارسونه من فساد واحتكارٍ للمناصب السياسية وموارد البلاد.
3. **فئة التدهور الاجتماعي:** تُعبّر عن التدهور والتدني والتراجع في الأوضاع الاجتماعية، نتيجة السياسات العربية القائمة والممارسات السلطوية، سواءً من الجانب المادي أو الأخلاقي، إضافةً إلى ظهور الإحساس بعدم الأمان لدى الأفراد.
4. **فئة الانعكاس الاجتماعي:** تُمثّل استجابات الأفراد وتفاعلاتهم مع الأوضاع الاجتماعية المتدهورة في الأوطان العربية، والتي تتراوح بين فقدان الأمل، أو اللجوء إلى استهلاك المخدرات، أو الهجرة غير الشرعية.
5. **فئة المقاومة:** هي مجموعة الممارسات والتطلعات التي يُقدم عليها أفراد مجموعات "الألتراس" العربية، بدافع الأمل في الوصول إلى التحرر من الأنظمة السلطوية القائمة.

عاشرًا: إجراءات الصدق والثبات

بعد التحديد الدقيق لفئات تحليل المضمون ووحداته، قمنا ببناء استمارة تحليل المضمون بما يحقق أهداف الدراسة ويجيب عن أسئلتها، وقد تم عرضها على عددٍ من الأساتذة المحكمين(*)، الذين أفادوا بصلاحيتها لإجراء الدراسة التحليلية بعد إدخال بعض التعديلات الطفيفة المطلوبة.

أما بالنسبة لإجراءات الثبات، فقد تمثلت في قيام الباحثَيْن وباحث آخر بتحليل مادتين من المواد (الأغاني الرياضية) التي تم تحليلها، وتمثّل حوالي (10%) من عينة الدراسة، وقد أعطى تكرار استخدام نفس الاستمارة في عملية التحليل تقاربًا كبيرًا في النسبة مقارنة بالتحليلات السابقة، وهو ما ظهر من خلال تطبيق معادلة **هولستي**، إذ بلغت نسبة الثبات (86%)، وهي نسبة مقبولة تدل على صلاحية تطبيق استمارة التحليل.

الإطار النظري

خلفية نظرية عن الألتراس والفضاء السياسي في الوطن العربي

فيما يلي نعرض أبرز العناصر التي تُشكّل الإطار السياسي للفضاءات التعبيرية الخاصة بمجموعات الألتراس في الوطن العربي:

أولًا: ظاهرة الألتراس: من التشجيع الرياضي إلى الفعل السياسي والاجتماعي

تناولت العديد من الدراسات الأجنبية والعربية لفظة ألتراس (Ultras) بوصفها كلمة لاتينية تعني (الشيء الفائق). وهي تشير إلى مجموعة من مشجعي فرق كرة القدم الذين يتميزون بالانتماء والوفاء والالتزام تجاه فرقهم الرياضية، إذ يساندونها ضمن مجموعات منظّمة لديها ممارسات موحّدة، وتتبنّى شعارات ولوحات فنية ويافطات (التيفو)، بالإضافة إلى أغاني وأهازيج مخصصة لها.

أما عالميًا فقد تكوّنت أولى مجموعات الألتراس في مدينة ساو باولو البرازيلية عام 1939، وعُرفت بـ **Torcida** (وفق المركز العربي للبحوث والدراسات)، لتنتقل بعد ذلك من أمريكا اللاتينية إلى أوروبا، وتحديدًا إلى يوغوسلافيا ثم كرواتيا مع جماهير نادي **Hajduk**، وهناك دراسات أرجعت ظهور أولى مجموعات الألتراس إلى إيطاليا في موسم 1968–1969، من خلال مجموعة **Fossa dei Leoni** المساندة لفريق (إيه سي ميلان)، ثم انتشرت بعدها إلى باقي بلدان أوروبا، من إسبانيا في منتصف السبعينيات إلى فرنسا وإنجلترا وباقي الدول الأخرى.

أما عربيًا، فقد انتقلت ثقافة الألتراس إلى منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وفقًا لبعض الدراسات، بدءًا من ألتراس **Dragon** المساند لنادي الاتحاد الليبي، والذي تم حلّه بعد أسبوع من تأسيسه في عام 1989، ثم في عام 1995، إذ ظهر ألتراس **African Winners** المساند للنادي الإفريقي التونسي. وفي عام 2004، تأسس ألتراس **Click Celtic** المساند لنادي الرجاء البيضاوي المغربي. ثم في عام 2007، ظهر في مصر ألتراس **أهلاوي** وألتراس **White Knights** المساند لنادي الزمالك.

لاحقًا، تأسست مجموعتان في الجزائر، هما: ألتراس **Leone Ultras Verde**، وألتراس **Mega Boys**، المساندتان لنادي مولودية الجزائر، وفي عام 2008 تأسس في السودان ألتراس **جوارح المريخ** المساند لنادي المريخ السوداني، وألتراس **الأسود الزرقاء** المساند لنادي الهلال السوداني، وظهرت أيضًا في الأردن مجموعة ألتراس **Ultras Greens** المساندة لنادي الوحدات (بنيس، 2019، صفحة 147)، ولا يكاد يخلو أي نادي عربي من مشجعيه من الالتراس.

نستنتج مما سبق أن رياضة كرة القدم لم تعد مجرّد مجال للفرجة والمتعة الرياضية، بل أصبحت جزءًا من فضاء معولم مزدحم بالسياسة ومشبّع بالأيديولوجيا، التي جعلتها أداة من أدوات الفعل السياسي، وقد تجلّى ذلك في الاستعراضات على مدرّجات الملاعب، وانتقل لاحقًا إلى الفضاءات الرقمية، في شكل فيديوهات مصوّرة على قنوات اليوتيوب وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي، إذ حققت أعلى نسب مشاهدة.

وقد تمثّلت الأشكال التعبيرية لمجموعات الألتراس في عروض فنية تسبق المباريات، وتوحيد الشعارات والأهازيج، ورفع اليافطات (التيفو)، وإنشاد الأغاني التي دوّت في الملاعب، فأرعبت الجمهور أحيانًا وأمتعته أحيانًا أخرى، كما أسّست مجموعات الألتراس لذاكرتها في المدن والعواصم،

من خلال رسومات الغرافيتي وعباراته التي رسمت شواهد عصره، وخلّفت أثرًا واضحًا في طبوغرافيات المدن. ومن هنا، اكتسبت الظاهرة عمقًا سوسيولوجيًا وأنثروبولوجيًا ينغرس في المجتمع، ويمتد في التاريخ، ويتمدد في الجغرافيا.

وقد تنامى دور الألتراس السياسي والثقافي والفكري في المجتمعات العربية، بما يتماشى مع المنعرجات السياسية الكبرى على غرار ثورات (الربيع العربي) و(الحراك الشعبي) الذي شهدته المنطقة، كما تُعدّ هذه الظاهرة حالة من الاغتراب، التي لم تقتصر على مصر وحدها، بل شملت العديد من الدول العربية التي ظهرت فيها هذه المجموعات ونمت.

إنها حالة اغتراب عن الدولة التي لم تكن بأي حال من الأحوال، مُمثّلة للمجتمع أو معبّرة عن إرادته الجمعية، مما دفع هؤلاء الشباب إلى خلق كيان أو فكرة ينتمون إليها (الربيعي، 2018).

ثانيًا: دلالات ورمزية الخطابات السياسية في الأغاني الرياضية للالتراس العربي: بين المقاومة والتصدي

يُعدّ الخطاب السياسي Political Speech حقلًا للتعبير عن الآراء، واقتراح الأفكار، وطرح المواقف المتعلقة بالقضايا السياسية، والمتجلية في أشكال الحكم كالديمقراطية، وأقسام السلطة، والفصل بين أنواعها، وهو خطاب إقناعي، يهدف إلى دفع المخاطب نحو القبول والتسليم بصِدقية الدعوى، من خلال توظيف الحجج والبراهين. ويمكننا عدّه مؤقتًا خطابًا سياسيًا (بن فطه و جيلاني كوبيبي، 2020، صفحة 255).

ويُشير Michel Foucault إلى أن مفهوم الخطاب يتسع وتتنوّع مصادر إنتاجه، حيث يشمل الأفراد، والجماعات، والمؤسسات، ويُعرّفه على أنه مصطلح لساني يختلف عن النص، والكلام، والكتابة وغيرها؛ إذ يشمل كل إنتاج ذهني، سواء أكان نثرًا أم شعرًا، مكتوبًا أم منطوقًا، فرديًا أم جماعيًا، ذاتيًا أم مؤسسيًا. وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجًا عن ذات فردية تعبّر عن نفسها، بل هو خطاب مؤسّسة.

كما يُعرّفه Breton Philippe بأنه نشاط إنساني يتخذ أوضاعًا تواصلية متعددة، ووسائل متنوعة، ويهدف إلى إقناع شخص، أو مستمع، أو جمهور ما، وتثبيت موقف ما، أو المشاركة في رأي معين. وفي هذا السياق، يُضيف سعد مطر الزبيدي بأنه منظومة من الأفكار تشكلت عبر تراكم معرفي نابع من استقراء للواقع، بكل مكوّناته الثقافية والاجتماعية والسيكولوجية، وتمحورت عبر أنساق أيديولوجية مستمدّة من التصورات السياسية المنبثقة من التراث أو من الحداثة، التي تختلف في آلياتها ونُظمها، بحسب مستوى النضج الفكري، والوعي بمتطلبات المجتمع، ومدى ارتباطها بمستوى الأداء الحركي في عملية التغيير، والتنمية، والحضور الوجودي.

وفي سياق متصل، حصرت إحدى أكبر المدارس في تحليل الخطاب، **مدرسة برمنغهام**

(Birmingham)، الخطاب في شكله الحواري. ومما سبق نخلص إلى أن الخطاب السياسي يتنوّع ويتعدّد وفقًا لأشكال وأنواع مختلفة، من بينها نوع اهتمّت به دراستنا الحالية، ألا وهو **الخطاب السياسي الجماهيري**، الذي يُعرّف على أنه نص تحريضي، دعائي، يرتبط في الغالب بالمناسبات والأزمات، ويأخذ شكل الخبر السياسي، أو النص المتكامل، أو الشعار، أو الأغنية، أو الطرفة. وتُصبح دلالات الزمان والمكان أكثر جدوى كعوامل منهجية مساعدة في تفكيك الخطاب السياسي (مبروك، 2021).

وقد اهتم التراث العربي اهتمامًا بالغًا بالخطاب، مركّزًا على نجاحه من خلال الاهتمام بعناصر العملية الاتصالية، بدءًا بالقائم بالاتصال، ثم الرسالة التي تتمتع بمزايا وخصائص تؤثر في الجمهور المتلقّي. وقد لمسنا ذلك من خلال الدراسة التحليلية لعينة الدراسة المتمثلة في أغاني الألتراس العربي.

ولعل رمزية ودلالة الخطاب السياسي الذي تحمله مضامين أغاني مجموعات الألتراس العربية، المتشبثة بهويتها، والمعتزة بانتمائها إلى الوطن العربي، تجعل منه خطابًا للميادين والساحات، التي تُعد فضاءً سياسيًا وأيديولوجيًا، سعى جاهدًا إلى معالجة الأوضاع الاجتماعية لواقع الحياة اليومية للأفراد والجماعات، باحثًا من خلاله عن الحرية والديمقراطية التي تسوق لها الأنظمة السياسية، وقد استندت تلك الأغاني إلى قضايا مهمة، كالفساد، وغيرها، لتُوضح علاقة السلطة بالشعب في معادلة باتت معقّدة في وقتنا الراهن.

فقد حملت مضامين هذه الأغاني مصطلحات ومعاني ودلالات جعلتها أكثر تأثيرًا في الجمهور، إذ وظّفت اللغة اليومية لكسب مزيد من التفاعل والتعاطف، ونقل الاهتمامات من المجموعات إلى المجتمع، لتُشكّل بذلك فضاءً احتجاجيًا مشبَعًا بقيم المقاومة، والنضال، والتصدي.

المداخل النظرية للدراسة

لقد اقتربت دراستنا، التي عُنيت بأغاني مجموعات الألتراس العربية، بوصفها فضاءً تعبيريًا سياسيًا، تشكّل من خلال تأدية هذه الأغاني في الملاعب والساحات العامة، وانتشارها عبر مختلف وسائل الإعلام التقليدية والجديدة، من مفهوم الفضاء العمومي المعارض، الذي طرحه (Oskar Negt) في تساؤله: "ما الذي يمكن أن يحصل حين تعود الفئات الاجتماعية المقصية إلى التداول العمومي، وتأخذ الكلمة خارج نطاق الفضاء العمومي المعترف به؟" وكانت إجابته: "إن قوة الموقف وإرادة الفاعلين ستفرض تشكيل فضاء عمومي معارض، يستجيب لأشكاله الخاصة في التواصل، وستؤكّد العامة قدرتها على أخذ الكلمة، والتدخل المستقل، وتجاوز جمهورية العلماء".

وقد عبّر عنه ووصفه أيضًا "بأنه كل القدرات البشرية المتمردة الباحثة عن أسلوب تعبير خاص"

(الهادفي، 2020، صفحة 187)، ويمكن إسقاط هذا المقترب النظري على الدراسة محلّ التحليل والتفسير، خاصة في سياق إنتاج ونشر هذه الأغاني الرياضية التي تحمل بعدًا سياسيًا، والذي نتج عن الممارسات السلطوية للمسؤولين السياسيين، وما خلّفته من انسداد وفشل سياسي في تسيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية في المنطقة العربية، والتي ولّدت انعكاسات وآفات اجتماعية خطيرة على الفرد والمجتمع، مما دفع مجموعات الألتراس العربية على غرار غيرها إلى إنتاج الأغنية الرياضية السياسية كردّة فعل، ومظهر من مظاهر المقاومة والتحدي والتصدّي للوضع القائم، متجاوزة بذلك معظم الفضاءات والأطر التقليدية المعروفة بالتعبير عن الواقع السياسي، وبالتالي، فقد حاولت هذه المجموعات إلى تشكيل فضاء عمومي معارض، على النحو الذي أكّده Oskar Negt في طرحه لمفهوم الفضاء العمومي المعارض.

وفي هذا السياق يشير **(Craig Calhoun)** إلى ضرورة قيام الحركات الاجتماعية بإعادة توجيه الخطاب العام، مما يؤدي إلى وضع بعض القضايا الجديدة، ولا سيما قضايا الحركات الاجتماعية في صدارة اهتمامات الناس (Abdelmoula, 2015, p. 93).

نتائج الدراسة التحليلية

بعد إتمام عملية تفريغ استمارات تحليل المحتوى، توصّلنا إلى الجداول التالية التي تُظهر تكرارات كل فئة ضمن مجموع الأغاني المكوّنة لعينة الدراسة الخاصة بمجموعات الألتراس من الدول العربية، وتوضّح هذه الجداول عدد التكرارات ونِسبب المؤشرات في كل فئة، مع قراءتها وتحليلها، واستخلاص النتائج والدلالات التي تسعى الدراسة إلى إبرازها.

جدول (1) يُبيّن تكرارات ونسب عناصر فئة أفعال السلطة

فئة أفعال السلطة	التراس مصر				التراس الجزائر				التراس المغرب				التراس تونس				المجموع	
	حكايتنا		كان ديما فاشل		لاكازا مورادية		عام سعيد		في بلادي ظلموني		هذي بلاد الحقرة		لا خدمة لا كورة		حكايات علينا صراو			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
الجرائم	11	%55	0	%0	0	%0	0	0%	1	%10	0	%0	2	%33.30	2	%40	16	%25.40
الغدر الخيانة	4	%20	0	%0	2	%40	1	%7.69	2	%20	0	%0	0	0	0	%0	9	%14.29
التهديد	1	%5	0	%0	0	%0	11	%84.60	2	%20	0	%0	2	%33.30	0	%0	16	%25.40
الظلم	2	%10	2	%100	0	%0	1	%7.69	5	%50	1	%50	0	0	3	%60	14	%22.20
أخرى	2	%10	0	%0	3	%60	0	0%	0	%0	1	%50	2	%33.30	0	%0	8	%12.70
المجموع	20	%100	2	%100	5	%100	13	%100	10	%100	2	%100	6	%100	5	%100	63	%100

اشتمل جدول (1) على التكرارات والنِسب الخاصة بعناصر فئة أفعال السلطة، وتبين أن مؤشري (الجرائم والتهديد) قد سجلا أعلى النِّسَب، بنسبة بلغت (25.40%) لكلٍّ منهما، وهو ما يُوضّح رؤية جماهير الألتراس العربية للأنظمة الحاكمة، كونها تستخدم آلية التهديد كوسيلة لاستمرارها في الحكم

أو لفرض فكرة معيّنة، حتى لو استدعى الأمر ارتكاب جرائم، مثل القتل، لتحقيق أهدافها، وتتضمن هذه الأفعال انتهاكات مثل القمع، والتزوير، وتلفيق التهم دون وجه حق، ويُعزز ذلك مؤشر (الظلم) الذي مثّل نسبة بلغت (22.20%) من مجموع أفعال السلطة، كما يظهر ذلك في أغنية "كان دايمًا فاشل" لألتراس نادي الأهلي المصري، وتحديدًا في المقطع: (لَفّق لَفّق.. في القضية.. هي دي.. عادة الداخلية)، والذي يُشير إلى محاولة تلفيق التُّهَم ظلمًا وزورًا، كما وُصِفت السلطة في مناسبات كثيرة بصفات، ويظهر ذلك في مؤشر (الغدر والخيانة) الذي مثّل نسبة بلغت (14.29%)، إلى جانب أوصاف (أخرى) التي جاءت بنسبة بلغت (12.70%)، تعمل كلها على تقديم صورة مُظلمة وسلبية عنها.

ويلجأ أعضاء الألتراس دائمًا عند وصفهم للممارسات السلطوية إلى استحضار مجموعة من الأدلة والشواهد من الواقع المَعيش داخل البلاد، بهدف تقوية حجتهم في نقد النظام، مثل: أحداث الألتراس في ملعب بورسعيد في مصر.

ونستنتج من ذلك أن أعضاء الألتراس يعملون على نقد الممارسات السلطوية، من خلال كشف أساليب التهديد التي تستخدمها السلطة، وفضح الجرائم التي ترتكبها.

كما تبرز الأغاني انعدام ثقة الألتراس في سياسات نظام الحكم، وهو ما يتجلّى في مؤشر (الغدر والخديعة)، ومؤشرات أخرى تُسهم في تشكيل صورة سلبية للنظام، وإبراز ممارساته التعسفية والسلطوية.

جدول (2) يُبيّن تكرارات ونسب عناصر فئة ممارسات المسؤولين

فئة ممارسات المسؤولين	التراس مصر						التراس الجزائر				التراس المغرب				التراس تونس				المجموع	
	حكايتنا		كان ديما فاشل		لاكازا مورادية		عام سعيد		في بلادي ظلموني		هذي بلاد الحقرة		لا خدمة لا كورة		حكايات علينا صراو					
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
الفساد	1	%20	1	%33.30	0	%0	8	%47	1	%100	4	%100	0	%0	0	%0	**15**	**%44.10**
مصالح شخصية	0	%0	0	%0	2	%66.60	3	%17.60	0	%0	0	%0	0	%0	0	%0	**5**	**%14.70**
احتكار السلطة	1	%20	1	%33.30	1	%33.30	1	%5.88	0	%0	0	%0	1	%100	0	%0	**5**	**%14.70**
أخرى	3	%60	1	%33.30	0	%0	5	%29.40	0	%0	0	%0	0	%0	0	%0	**9**	**%26.40**
المجموع	**5**	**%100**	**3**	**%100**	**3**	**%100**	**17**	**%100**	**1**	**%100**	**4**	**%100**	**1**	**%100**	**0**	**%100**	**34**	**%100**

يُوضّح الجدول (2) التكرارات والنسب الخاصة بعناصر فئة ممارسات المسؤولين، وقد تبيّن الحضور الكبير لمؤشر (الفساد) بنسبة بلغت (44.10%)، وذلك من خلال ما تُظهره الممارسات المتعددة للمسؤولين، كالسّرقة، والرشوة، والاستحواذ على الموارد، وقد وصفت جماهير ألتراس اتحاد طنجة المغربي للمسؤولين عن هذا المعنى بقولهم: (مافيا كبيرة، كل شي ولا شفار) بمعنى أنهم يرَون في المسؤولين تنظيمًا وعصابة يُمارس السرقة، وهو ما يُسهم مباشرة في تشويه صورة النظام الذي ينتمون إليه.

وتجدر الإشارة إلى أن أغاني الألتراس توسّعت في الحديث عن المسؤولين وتوصيف ممارساتهم، وهو ما يندرج تحت مؤشر (أخرى) بنسبة بلغت (26.40%)، ممّا يُشير إلى تعدّد، وتنوّع، وامتداد الممارسات السلبية التي تُنسب إلى المسؤولين السياسيين.

كذلك، تركّز المقاطع التي يغنيها جمهور الألتراس على إظهار تمسّك المسؤولين بمناصبهم، بما يخالف مبدأ التداولية الديمقراطية، وهو ما يتجلى في مؤشري (احتكار السلطة) و(المصالح الشخصية) اللذين سجلا نسبة بلغت (14.70%) لكل منهما، ما يعكس سعي المسؤولين للحفاظ على مصالحهم الشخصية، حتى ولو كان ذلك على حساب مصلحة الوطن.

وبناءً على ما سبق، نستنتج أن أغاني الألتراس في الوطن العربي تعمل على فضح تجاوزات المسؤولين، التي أدّت إلى تفشّي الفساد وظهوره، بالإضافة إلى احتكارهم للمناصب السلطوية بهدف الحفاظ على مصالحهم الشخصية، وأن مجموع هذه الممارسات السلبية قد أسهم بصورة جليّة في تشويه صورة السلطة والأنظمة القائمة.

جدول (3) يُبيّن تكرارات ونسب عناصر فئة التدهور الاجتماعي

فئة التدهور الاجتماعي	التراس مصر				التراس الجزائر				التراس المغرب				التراس تونس				المجموع	
	حكايتنا		كان ديما فاشل		لاكازا مورادية		عام سعيد		في بلادي ظلموني		هذي بلاد الحقرة		لا خدمة لا كورة		حكايات علينا صراو			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
المادي	0	%0	0	%0	0	%0	6	%42.80	0	%0	3	%75	2	%33.30	0	%0	11	%30.50
الأخلاقي	0	%0	0	%0	0	%0	0	%0	1	%20	0	%0	2	%33.30	0	%0	3	%8.30
انعدام الأمان	0	%0	0	%0	1	%20	0	%0	1	%20	0	%0	0	%0	0	%0	2	%5.50
أخرى	0	%0	2	%100	4	%80	8	%57.10	3	%60	1	%25	2	%33.30	0	%0	20	%55.50
المجموع	**0**	**%100**	**2**	**%100**	**5**	**%100**	**14**	**%100**	**5**	**%100**	**4**	**%100**	**6**	**%100**	**0**	**%100**	**36**	**%100**

تضمّن جدول (3) التكرارات والنسَب الخاصة بعناصر فئة التدهور الاجتماعي، حيث عكست البيانات حالة التراجع في المستوى المعيشي والاجتماعي من خلال نماذج وصور متعددة، تجلّت في مؤشر (أخرى) بنسبة بلغت (55.50%)، وعلى الرغم من ارتفاع هذه النسبة، فإنه يصعب حصرها داخل مؤشر واحد، نتيجة لتعدّد واختلاف المظاهر الدالة على التدهور وتردّي الأوضاع الاجتماعية.

كما ركّزت أغاني الألتراس على توصيف الحالة المادية المزرية للأفراد داخل المجتمع، وهو ما يتبيّن من خلال مؤشر (المادي) بنسبة بلغت (30.50%)، إذ عبّرت الأغاني عن ذلك باستخدام ألفاظ عدّة تؤدي الدلالة ذاتها، مثل: القفز، والزوالي، والقليل، كما في أغنية (عام سعيد) لألتراس مولودية الجزائر (وليد بلادي وزوالي كيفنا) أي أنهم جميعًا يُوصَفون بالفقراء، مع محاولة إرجاع السبب إلى النظام الحاكم أو المسؤولين القائمين عليه.

عمومًا، يُحاول الألتراس العربي إظهار أن تضافر هذه الظروف الاجتماعية القائمة هو ما قاد المجتمع نحو التدهور الأخلاقي، وتجلى ذلك في مؤشر (الأخلاقي) بنسبة بلغت (8.30%)، وانعكس

أيضًا في مؤشر (انعدام الأمان) بنسبة بلغت (5.50%).

كما تُسهم التعبيرات أو الخطابات المستخدمة في أغاني الألتراس في توصيف حالة التدهور الاجتماعي داخل الوطن العربي، وذلك من خلال التطرق إلى مجموعة من المؤشرات المختلفة، ولا سيّما مؤشر (الحالة المادية) للأفراد داخل المجتمع، وهي الحالة التي أدّت إلى تفشي مظاهر التدهور الأخلاقي، وجعلت الأفراد يشعرون بانعدام الأمان.

جدول (4) يُبيّن تكرارات ونسب عناصر فئة الانعكاس الاجتماعي

فئة الانعكاس الاجتماعي	التراس مصر				التراس الجزائر				التراس المغرب				التراس تونس				المجموع	
	حكايتنا		كان ديما فاشل		لاكازا مورادية		عام سعيد		في بلادي ظلموني		هذي بلاد الحقرة		لا خدمة لا كورة		حكايات علينا صراو			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
الهجرة	0	%0	0	%0	0	%0	3	%23	0	%0	1	%33.30	1	%25	0	%0	5	%15.10
المخدرات	0	%0	0	%0	3	%50	3	%23	2	%28.60	0	%0	1	%25	0	%0	9	%27.30
فقدان الأمل	0	%0	0	%0	0	%0	6	%46.20	4	%57.10	1	%33.30	2	%50	0	%0	13	%39.40
أخرى	0	%0	0	%0	3	%50	1	%7.70	1	%14.20	1	%33.30	0	%0	0	%0	6	%18.20
المجموع	**0**	**%100**	**0**	**%100**	**6**	**%100**	**13**	**%100**	**7**	**%100**	**3**	**%100**	**4**	**%100**	**0**	**%100**	**33**	**%100**

يُظهر جدول (4) التكرارات والنسب الخاصة بعناصر فئة الانعكاس الاجتماعي، إذ سجل ارتفاع ملحوظ في مؤشر (فقدان الأمل) بنسبة بلغت (39.40%) وهو ما يُعبّر عنه أفراد الألتراس بوصفه انعكاسًا لحالة التدهور الاجتماعي على الحالة النفسية للأفراد، نتيجة ما يعانونه من ظروف اجتماعية قاسية، ولا سيّما المادية منها إلى جانب الشعور بانعدام الأمان؛ بسبب الممارسات السلطوية وفساد المسؤولين وغيرها من الأسباب الأخرى.

وقد تجاوزت هذه الانعكاسات بُعدها النفسي المتمثل بـ(**فقدان الأمل**) كما ورد في أغنية (في بلادي ظلموني) لألتراس الرجاء البيضاوي المغربي في المقطع (وقتلتو La passion) بمعنى أنكم قتلتم الشغف والأمل لدى الأفراد، وتعدت هذه الانعكاسات إلى ظهور سلوكيات اجتماعية جديدة يلجأ إليها الأفراد للهروب من الواقع المعيشي، ويبرز ذلك في مؤشر استهلاك المخدرات بمختلف أنواعها، الذي جاء بنسبة بلغت (27.30%)، كما عبّر عن ذلك ألتراس اتحاد العاصمة الجزائري في أغنيته (لاكازا ديل المرادية) في المقطع (راني نكوسومي غير بشوية) بمعنى أنني استهلك المخدرات تدريجيًا.

وقد أصبح الحديث عن هذه الظاهرة واستهلاكها يتم بصورة علنية، بل وبدرجة من الترويج غير المباشر لها، كونها وسيلة لمواجهة الوضع الاجتماعي المتدهور داخل أوطانهم، ولا سيّما وأنها تُعدّ الخيار الأسهل والمتاح أمام فئات واسعة من الشباب لمواجهة مشاكلهم الاجتماعية القاهرة، كما يُظهر مؤشر (الهجرة) بنسبة بلغت (15.10%)، بوصفها خيارًا أخيرًا يلجأ إليه الأفراد داخل المجتمعات العربية، رغم ما ينطوي عليه من مخاطر جسيمة، وذلك لأنهم يتحدثون عن الهجرة غير القانونية، والتي تُوصف في العديد من اللهجات العربية بـ (الحرقة)، وهي من أشد المخاطر التي أودت بحياة

العديد من الشباب العربي.

نستنتج أن حالة التدهور الاجتماعي داخل أقطار المنطقة العربية محل الدراسة قد تسبّبت في مجموعة من الانعكاسات النفسية، وهو ما يتجلّى في حالة فقدان الأمل لدى الأفراد، كما ظهرت وتنامت مجموعة من الممارسات الاجتماعية غير المرغوبة، التي أصبحت بمثابة مهرب بالنسبة لهم، وتراوحت بين ما هو متاح، مثل اللجوء إلى استهلاك المخدرات، أو اختيار السبل مثل الهجرة غير الشرعية، بوصفها حلاً أخيرًا، رغم ما تحمله في طياتها من مخاطر تهدد الأمن الإنساني.

جدول (5) يُبيّن تكرارات ونسب عناصر فئة المقاومة

فئة المقاومة	التراس مصر						التراس الجزائر						التراس المغرب						التراس تونس				المجموع	
	حكايتنا		كان ديما فاشل				لاكازا مورادية		عام سعيد				في بلادي ظلموني		هذي بلاد الحقرة				لا خدمة لا كورة		حكايات علينا صراو			
	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة			تكرار	نسبة	تكرار	نسبة			تكرار	نسبة	تكرار	نسبة			تكرار	نسبة	تكرار	نسبة	تكرار	نسبة
الأمل	2	%20	0	%0			0	%0	20	%62.50			6	%37.50	0	%0			8	%33.30	2	%18.20	**38**	**%38.80**
الممارسات	4	%40	0	%0			0	%0	10	%31.25			8	%50	1	%100			13	%54.20	3	%27.30	**39**	**%39.80**
الحرية	2	%20	0	%0			1	%33.30	2	%6.25			0	%0	0	%0			3	%12.50	1	%9.10	**9**	**%9.20**
أخرى	2	%20	1	%100			2	%66.70	0	%0			2	%12.50	0	%0			0	%0	5	%45.40	**12**	**%12.20**
المجموع	**10**	**%100**	**1**	**%100**			**3**	**%100**	**32**	**%100**			**16**	**%100**	**1**	**%100**			**24**	**%100**	**11**	**%100**	**98**	**%100**

يكشف جدول (5) التكرارات والنسب الخاصة بعناصر فئة المقاومة، وقد تبين ارتفاع مؤشر (الممارسات) بنسبة بلغت (39.80%)، وهو ما يُعبّر عن مجموع الأنشطة والأفكار التي يتبناها الأفراد في مواجهة المسؤولين، والممارسات السلطوية، وحالة التدهور الاجتماعي الحاصلة، ويتجلى ذلك على سبيل المثال في أغنية (لا خدمة لا كورة) لألتراس الترجي الرياضي التونسي في قولهم: (حاربنا على liberté وكسرنا Système)، أي حاربنا من أجل الحرية وأسقطنا النظام، والملاحظ هنا هو انتقال الأفراد من حالة فقدان الأمل إلى مقاومة الواقع المعيش، ويكمن الفارق هنا في الانتماء إلى جماعة اجتماعية جديدة، والتي تجسدها مجموعات الألتراس في مختلف أنحاء الوطن العربي.

وقد أسهم هذا الانتقال في إعادة إحياء التطلعات في نفوس الأفراد، وهو ما يؤكده ارتفاع مؤشر (الأمل) بنسبة بلغت (38.80%)، من خلال تبني مجموعة من الممارسات الهادفة إلى التكيّف مع الواقع والعمل على تغييره اجتماعيًا وسياسيًا، ويظهر ذلك من خلال روح الانتماء لجماعة الألتراس، كما جاء في أغنية ألتراس النادي الإفريقي التونسي (حمرا وبيضا نبغيها، عمري ما نسلم فيها، ما فما كان الموت يفرقنا)، ويقصد هنا أن الأفراد بعد انتماءهم إلى جماعة الالتراس فإنهم على الاستعداد للتضحية حتى الموت في سبيل الدفاع عن انتماءهم للجماعة، وهو ما يعبر عن الهوية الجديدة التي تبنّاها الأفراد، وأصبحت تمثّل قاعدة ومنطلقًا لممارسات متعددة تندرج تحت فئة (أخرى) بنسبة بلغت (12.20%).

وما يعزز هذه الممارسات كونها فعلًا جماعيًا معبرًا عن الالتزام مثل: الغناء الجماعي المُوحَّد،

واللباس، والشعارات المتناسقة، وحفظ الأغاني وأدائها بشكل منظم، ورفع الرايات (التيفو)، وتعمل هذه المؤشرات متحدة في سبيل سعي جماهير الألتراس للوصول إلى فكرة الحرية، من خلال التغلب على سلطوية النظام القائم، والسعي نحو تحسين الظروف الاجتماعية والسياسية، وهو ما أكده مؤشر (الحرية) بنسبة بلغت (9.20%).

مما سبق نستنتج أن أعضاء وجماهير الألتراس، وفي سعيهم للتغلب على الظروف الاجتماعية والسياسية المتدهورة، لجأوا إلى الانتماء إلى هوية موحّدة متمثّلة في جماعة الألتراس القائمة أساسًا على فكرة التشجيع الرياضي، لكنها تعدت هذا الإطار بفعل واقع الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية إلى المجال السياسي، وعملت على إنتاج خطابات احتجاجية في شكل أغانٍ رياضية ذات مضامين سياسية، تحمل في طيّاتها فكرة المقاومة والتصدي لفساد الأنظمة الحاكمة، من خلال مجموعة من الممارسات المختلفة التي عملت على بعث الأمل لدى الأفراد، بإمكانية تحسّن الظروف الاجتماعية والسياسية، وصولًا إلى تحقيق الحرية، والخروج من ظلّ الأنظمة السلطوية المستبدّة.

كما أن فئة (المقاومة) ظهرت بشكل أوضح لدى ألتراس الجزائر وتونس، بعدد بلغ (35) تكرارًا، مقارنة بألتراس المغرب الذي سجّل (17) تكرارًا، ومصر (11) تكرارًا، وهو مؤشر دلالي يمكن الاعتماد عليه في قياس مستوى حرية التعبير، حتى داخل أنظمة تُوصَف بالسلطوية، ويمكن القول إنه بالرغم من تشابه ممارسات الأنظمة العربية، فإنَّ هناك تفاوتًا طفيفًا في سقف حرية التعبير، يتجلى من خلال المقارنة بين مفردات عينة الدراسة، إذ برز ارتفاع مستوى الاحتجاج والتعبير داخل مجموعات الألتراس في تونس والجزائر، تليها المغرب ثم مصر.

ومنه، فقد شكّلت مجموعات الألتراس العربية لعيّنة الدراسة فضاءً سياسيًا مُعبّأً بالانتقادات والاحتجاجات ضد الأنظمة السياسية، وحاملاً لمطلب تحسين الظروف المعيشية للأفراد والجماعات، وعلى الرغم مما تحمله خطابات هذه الأغاني من توصيف واضح لتدهور الأوضاع الاجتماعية وانعكاساتها على الأفراد والمجتمعات، فإنّ المقارنة بين الفئات من حيث إسهامها في تشكيل محتوى هذه الأغاني تُبرز أبعادًا إضافية للصورة.

جدول رقم (6) يُبيّن تكرارات ونسب إسهام الفئات في تشكيل المحتوى

الفئات	التراس مصر		التراس الجزائر		التراس المغرب		التراس تونس		المجموع	
	حكايتنا	كان ديما فاشل	لاكازا مورادية	عام سعيد	في بلادي ظلموني	هذي بلاد الحقرة	لاخدمة لا كورة	حكايات علينا صراو	التكرار	نسبة
	التكرار	التكرار	التكرار	التكرار	التكرار	التكرار	التكرار	التكرار		
أفعال السلطة	20	2	5	13	10	2	6	5	63	%23.86
ممارسات المسؤولين	5	3	3	17	1	4	1	0	34	%12.87
التدهور الاجتماعي	0	2	5	14	5	4	6	0	36	%13.63
الانعكاس الاجتماعي	0	0	6	13	7	3	4	0	33	%12.51
المقاومة	10	1	3	32	16	1	24	11	98	%37.12
المجموع	35	8	22	89	39	14	41	16	264	%100

تعكس البيانات الواردة في جدول (6) مجموع فئات التحليل التي قدّمت رسالة وصورة ضمنية قوية لم تكن ظاهرة بوضوح في بداية عملية التحليل، فقد كان من المتوقع أن تَغلب حالة التذمّر والشكوى من الأوضاع المعيشية والاجتماعية المتردية، إلا أن النتائج كشفت أن فئة (المقاومة) هي التي أخذت النصيب الأكبر والنسبة العالية، المقدّرة بـ (37.12%)، مما يؤكّد دورها البارز في تشكيل محتوى الأغاني، وقد أسهم تكرار الدلالات المرتبطة بهذه الأغاني في ترسيخ مؤشراتها، وذلك من خلال غرس الأمل، والدعوة إلى التحرّر من سلطوية النظام الحاكم، وتوضيح الممارسات التي تُجسّدها هذه المقاومة.

تحليل النتائج

تشير نتائج الدراسة التحليلية للأغاني الرياضية السياسية التي أنتجتها مجموعات الألتراس في كلّ من مصر، والجزائر، والمغرب، وتونس، إلى تركيزها على المحاور الآتية:

1. **فئة أفعال السلطة:** تصدّر مؤشري (الجرائم والتهديد) بنسب متساوية بلغت (25.40%) لكل منهما، وهو ما تؤكده الأدلة والحجج والشواهد التي حملتها خطابات أو مضامين أغاني الألتراس العربية، كما في أغنية حادثة ملعب بورسعيد في مصر.
2. **فئة ممارسات المسؤولين:** كشفت النتائج عن ارتفاع مؤشر (الفساد) بنسبة بلغت (44.10%)، بمختلف صوره وأشكاله ومعانيه، وقد تجلى ذلك في الأوصاف التي وردت ضمن الخطابات الغنائية، مثل: استعمال مصطلح (المافيا) في أغنية ألتراس اتحاد طنجة المغربي، و(العصابة) في السياق الجزائري وغيرها، مما يعكس نظرة تشكّكية وانتقادية للأنظمة الحاكمة.
3. **فئة التدهور الاجتماعي:** ظهر حضور قوي لمؤشر (أخرى) بنسبة بلغت (55.50%)، وذلك نتيجة لتنوع مظاهر التدهور الاجتماعي وتعددها، مما يصعب حصرها ضمن مؤشرات محددة، وقد أدّت هذه الأوضاع إلى نتائج اجتماعية وخيمة انعكست على الفرد والمجتمع تمثلت في تدني القيم الأخلاقية والاجتماعية، وهو ما تجلى بشكل واضح في مستوى الخطاب الذي بلغ حدّ الذوق الهابط في بعض أغاني مجموعات الألتراس العربية، وارتبط أيضًا بعدم الإحساس بالأمان نتيجة لظهور آفات اجتماعية خطيرة مهددة مثل: تعاطي المخدرات والهجرة غير شرعية.
4. **فئة الانعكاس الاجتماعي:** برز مؤشر (فقدان الأمل) بنسبة عالية بلغت (39.40%)، وهو ما أدى إلى تدهور الحالة النفسية للأفراد نتيجة الأوضاع الاجتماعية والسياسية المتردية، وهذا ما ظهر بوضوح في أغنية (في بلادي ظلموني) لألتراس الرجاء البيضاوي المغربي في مقطع (قتلتو la passion)، بمعنى محو آمال الأفراد في العيش بمستقبل أحسن.
5. **فئة المقاومة:** جاء مؤشر (الممارسات) بنسبة عالية بلغت (39.80%)، مشيرًا إلى الأنشطة والأفكار التي تبنّاها الأفراد في مواجهة الأنظمة السياسية الحاكمة، وقد تجلّى ذلك في الثورات

العربية والحراك الشعبي، التي أسهمت في إسقاط أنظمة دكتاتورية تجذرت في المنطقة لعقود من الزمن، وتجسدت هذه الفكرة في أغنية ألتراس الترجي الرياضي التونسي في مقطع (حاربنا على liberté وكسرنا système)، والتي حملت معنى روح المقاومة من أجل التغيير الذي نجح من خلال ثورة الياسمين، واسقاط حكم الرئيس زين العابدين بن علي في تونس، وما ذلك إلا دليل على الأمل في التغيير، والسعي لتحسين الوضع في المنطقة العربية.

6. تجدر الإشارة إلى أن فئة (المقاومة) تصدرت النسبة الأعلى البالغة (37.12%) من مجموع فئات التحليل، وهذا ما يعبر عن الدلالات القوية للرسالة التي حملتها خطابات الأغاني الكروية والمتمثلة في غرس الآمال، والدعوة إلى التحرّر من الممارسات السلطوية للأنظمة الحاكمة في المنطقة العربية.

الخاتمة

هدفت هذه الدراسة إلى تقصّي كيفية تحوّل أغاني مجموعات الألتراس العربية إلى فضاء للتعبير السياسي، مستندةً إلى مفهوم (الفضاء العمومي المعارض) الذي طرحه **أوسكار نيغت**، إذ شكّلت هذه المجموعات على غرار الحركات الاجتماعية منصات احتجاجية بديلة، وقد اعتمدنا في دراستنا على تحليل مضمون عيّنة من الأغاني الخاصة بمجموعات الألتراس العربية، التي حققت رواجًا ونسب مشاهدة مرتفعة، فكانت النتائج التي خلُصت إليها على النحو الآتي:

1. تبيّن أن فئة (المقاومة) كانت الأكثر حضورًا وتعبيرًا في خطابات أغاني الألتراس محل الدراسة، من خلال تنوّع مؤشّراتها وتكرار دلالاتها، وهذا ما عبر عن المضمون وقوة الرسالة التي سعت إلى توصيله، والمتمثّل في التصدّي لممارسات السلطة، ومحاولتها لغرس الأمل، والدعوة إلى التحرّر من الأنظمة السياسية الحاكمة، التي خلّفت أوضاعًا متردّية في الوطن العربي، وصلت في بعض الحالات إلى حد الانفلات والانزلاق.
2. مما عزز في إبراز الدور التعبيري معايشة جماهير الألتراس لأهم الأحداث السياسية، متمثلة في ثورات الربيع العربي والحراك الشعبي، مما أدى إلى توسيع اهتماماتهم من مجرد دعم الأندية الرياضية، إلى تبنّي خطابات سياسية وحركات احتجاجية، تُترجم من خلال ما يرسلونه من دلالات صريحة أو مشفّرة داخل أغانيهم، والتي أصبحت مؤشّرًا لكشف الفساد أو الانحرافات داخل الأنظمة الحاكمة.
3. انفلات للأوضاع على مستويات مختلفة، وكان من أهم مظاهره ولوج مجموعات الألتراس إلى المجال السياسي، من خلال خطابات أغانيها السياسية التي عملت على فضح وكشف عيوب الساسة والسياسة عربيًا، رافضة بذلك الخضوع لها، وإعلان التصدي لها ومواجهتها مرورًا من ساحات الملاعب إلى الساحات العامة، وفقًا لتسيس الأغنية الرياضية.

4. ما توافق مع نتائج دراسات سابقة تناولت تفكيك دلالات الخطاب السياسي في الأغاني الرياضية، ضمن سياق الدينامية السياسية في الوطن العربي ما يُعرف بـ (بالسياسة المشاكسة الخلافية (Contentious Politics)، والتي أُنتجت في شكل أغاني احتجاجية مقاومة، تهدف إلى معارضة الواقع القائم والتصدي للأوضاع الراهنة.
5. يمكن عدّ حركات مجموعات الالتراس المنتجة لهذه الخطابات الكروية كيانًا اجتماعيًا عابرًا للثقافات والمجتمعات، تشكّل وانتظم ليكون فضاءً عامًا، يناقش تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية على مستويات عدّة مثل: الفقر وتدني مستوى المعيشة، وتراجع القيم الأخلاقية واضمحلالها وانعدام الأمان، وفقدان الأمل، واللجوء إلى استهلاك المخدرات للهروب من الواقع، بل وتعداه الأمر إلى الهجرة غير الشرعية التي باتت تهدد الأمن الإنساني في المنطقة العربية بالنسبة للعينة محل الدراسة.
6. وُجدت بيئة عربية مغايرة، تتّسم بالتطور والاستقرار والرفاهية العالية، ولا سيّما في منطقة الخليج العربي، حيث لم تشهد ظاهرة الأغنية السياسية في مجموعات الألتراس الخاصة بها في الفترة ذاتها، وهو ما استدعى سياقيًّا استثناء البحث في هذه المنطقة من عيّنة الدراسة.
7. وبهذا، أنشأت مجموعات الألتراس العربية محل الدراسة قوة اجتماعية تمتعت بأحكام سلطة الاتصال، كما أطلق عليها مانويل كاستلز، ولا سيّما أنها ارتبطت بالرياضة الأكثر شعبية في العالم، والتي تُعرف بـ "أفيون الشعوب"، لتصبح بذلك ثقافة الألتراس ذات الهوية والثقافة والانتماء مشترك، بمنظومة الأهداف والاستراتيجيات المسيطرة، التي انتهجت من الأغاني الرياضية خطابًا للاحتجاج السياسي والتصدي والمطالبة بالتغيير السياسي.
8. أصبحت هذه المجموعات رمزًا مشتركًا للمقاومة، وسلاحًا للتحدّي والتغيير، ونموذجًا لبثّ الأمل والتغيير، من خلال مجموعة من الممارسات الثقافية الجماعية التي هدفت إلى المطالبة بالتحرّر من الأنظمة السلطوية الحاكمة، في شكل مناصرة لأنديتها الرياضية، لكن بخطاب تجاوز حدودها السياسية والجغرافية ومجال اهتمامها، ليكرّس التضامن المعنوي لشعوب المنطقة.

المقترحات

1. ضرورة تسليط الضوء على دراسة ظاهرة التحوّل النسقي الجديد في طبيعة الخطاب السياسي لأغاني مجموعات الألتراس العربية، المُنذِرة بالظلم، والمطالب بالتحدي والتغيير في السياسة والمجتمع، والذي كان ناتجًا عن التحوّلات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها المنطقة.
2. التركيز على دراسة النفوذ الرمزي المشترك لأغاني الألتراس في المجتمعات العربية، من مختلف الزوايا البحثية متعددة التخصصات، بهدف تقصّي أبعاد الظاهرة، وآثارها الاجتماعية، والثقافية، والسياسية.

الهوامش

(*) أسماء المحكمين:

- أ.د. وائل إسماعيل عبد الباري، أستاذ الإعلام، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.
- أ.د. أ.د. علي جبار الشمري، أستاذ الإعلام، كلية الإعلام، جامعة بغداد، بغداد، العراق.
- أ.د. عادل عبد الرزاق الغريري، أستاذ الإعلام، كلية الإعلام، جامعة بغداد، بغداد، العراق.
- أ.د. علي قسايسية، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر3، الجزائر.

المصادر والمراجع

أنجرس، م. (2008). *منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات علمية* (ب. صحراوي، ك. بوشرف، و س. سبعون، مترجمون؛ ط.2). الجزائر: دار القصبة للنشر.

بن فطه، م.، و جيلاني كوبيبي، م. (2020). سوسيولوجيا الخطاب السياسي في الجزائر" تحليل خطابات الأحزاب السياسية "أنموذجا". *تطوير، 7*(2)، 247-260. https://asjp.cerist.dz/en/article/140128

بنيس، س. (2019). تمثُّلات الخطاب الاحتجاجي للألتراس في المغرب وتأثيراته السياسية. *لباب للدراسات الاستراتيجية والإعلامية*(2)، 143-172. https://bitly.cx/TNIC

تمار، ي. (2017). *أصول تحليل المضمون و تقنياته*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

دحمان، م.، و زعبار، س. (2016). حركة الألتراس في الجزائر بين الهوية المحلية وصراع العولمة الثقافية "ألتراس أولمبيك الشلف لكرة القدم أنموذجا". *الاكاديمية للدراسات الاجتماعية و الانسانية، 8*(1)، 74-82. https://asjp.cerist.dz/en/article/73681

الربيعي، إ. أ. (2018، 29 يناير). *جماعات الألتراس وإشكالية العلاقة بين الدولة والمجتمع*. المعهد المصري للدراسات. https://bitly.cx/5YOp2

الرفاعي، ا. ح. (2005). *مناهج البحث العلمي*. الاردن: دار وائل للنشر والتوزيع.

شنودة، إ. ن. د. (2016). الألتراس بين الحركة الاجتماعية والتنظيم الإرهابى (دراسة استطلاعية على عينة من الألتراس والأمن والجماهير بمحافظة القاهرة الكبرى). *مجلة بحوث الشرق الأوسط، 4*(39)، 1-32. https://doi.org/10.21608/mercj.2016.61259

عبد المؤمن، ع. م. (2008). البحث في العلوم الاجتماعية: الوجيز في الأساسيات والمناهج والتقنيات. ليبيا: دار الكتب الوطنية.

مبروك، ا. (2021). الخطاب السياسي. الموسوعة السياسية. https://bitly.cx/ICtu

المشاقبة، ب. ع. ا. (2014). مناهج البحث الاعلامي وتحليل الخطاب. الاردن: دار اسامة للنشر والتوزيع.

الهادفي، آ. ع. (2020). الأغنية الكروية السياسية في الجزائر: الموسيقى كخطاب احتجاجي معارض وفضاء عمومي بديل. مجلة الاتصال والصحافة، 7(2)، 172-188. https://asjp.cerist.dz/en/article/130601

Funding

None

ACKNOWLEDGEMENT

None

CONFLICTS OF INTEREST

The author declares no conflict of interest

References

Abdelmoula, E. (2015). *Al Jazeera and Democratization The Rise of the Arab Public Sphere* (1st ed.). Routledge. https://doi.org/10.4324/9781315720272

Abdul-Mu'min, A. M. (2008). *Research in Social Sciences: Basics, Techniques, and Methods – A Concise Guide to Fundamentals, Methodologies, and Techniques*. Libya: National Library Publishing House.

Al-Hadfi, A. A. (2020). Soccer Political Chants in Algeria: Music as a Dissenting Counter Discourse and an Alternative Public Sphere. *Journal of Communication and Journalism*, *7*(2), 172-188. https://asjp.cerist.dz/en/article/130601

Al-Mashaqbeh, B. A. R. (2014). *Media Research Methodologies and Discourse Analysis*. Jordan: Dar Osama For Publishing And Distribution.

Al-Rifai, A. H. (2005). *Scientific Research Methodologies*. Jordan: Dar Wael For Publishing And Distribution.

Al-Rubaie, I. A. (2018, January 29). *Ultras Groups and the Problematic Relationship Between the State and Society*. The Egyptian Institute for Studies. https://bitly.cx/5YOp2

Angers, M. (2008). *Scientific Research Methodology in the Humanities: Practical Exercises* (B. Sahraoui, K. Boucharef, & S. Sebaoun, Trans.; 2 ed.). Algeria: Dar El Kasbah For Publishing.

Awad, Y. (2016). Football in Arabic literature in diaspora: Global influences and local manifestations. *International Review for the Sociology of Sport*, *51*(8), 1005-1021. https://doi.org/10.1177/1012690214564630

Ben Fattah, M., & Djilani Koubibi, M. (2020). Sociologie of political discourse in Algerien "Political party speech Analysis as an example". *Tatwir*, *7*(2), 247-260. https://asjp.cerist.dz/en/article/140128

Bennis, S. (2019). Representations of Ultras Protest Discourse in Morocco and Its Political Impacts. *LUBAB For Strategic and Media Studies*(2), 143-172. https://bitly.cx/TNIC

Dahmane, M., & Zaabar, S. (2016). Ultra Movement in Algeria between the Local Identity and the Conflict of Cultural Mundialization: Ultras Olympique de Chlef football as a model. *Academic Review of social and human studies*, *8*(1), 74-82. https://asjp.cerist.dz/en/article/73681

Doidge, M., Kossakowski, R., & Mintert, S. (2020). *Ultras: The Passion and Performance of Contemporary Football Fandom*. Manchester University Press. https://doi.org/10.7765/9781526127631

El-Zatmah, S. (2012). From Terso into Ultras: the 2011 Egyptian revolution and the radicalization of the soccer's Ultra-Fans. *Soccer & Society*, *13*(5-6), 801-813. https://doi.org/10.1080/14660970.2013.766030

Gibril, S. (2015). Contentious Politics and Bottom-Up Mobilization in Revolutionary Egypt: the Case of Egyptian Football Supporters in Cairo. In F. A. Gerges (Ed.), *Contentious Politics in the Middle East: Popular Resistance and Marginalized Activism beyond the Arab Uprisings* (pp. 305-329). Palgrave Macmillan US. https://doi.org/10.1057/9781137530868_13

Graneheim, U. H., Lindgren, B.-M., & Lundman, B. (2017). Methodological challenges in qualitative content analysis: A discussion paper. *Nurse Education Today*, *56*, 29-34. https://doi.org/10.1016/j.nedt.2017.06.002

Hasso, F. S. (2018). Masculine love and sensuous reason: the affective and spatial politics of Egyptian Ultras football fans. *Gender, Place & Culture*, *25*(10), 1423-1447. https://doi.org/10.1080/0966369X.2018.1531830

Koh, E. T., & Owen, W. L. (2000). Descriptive Research and Qualitative Research. In E. T. Koh & W. L. Owen (Eds.), *Introduction to Nutrition and Health Research* (pp. 219-248). Springer US. https://doi.org/10.1007/978-1-4615-1401-5_12

Mabrouk, I. (2021). *Political Speech*. Political Encyclopedia. https://bitly.cx/ICtu

Neuendorf, K. A. (2018). Content analysis and thematic analysis. In *Advanced Research Methods for Applied Psychology* (pp. 211-223). Routledge. https://doi.org/10.4324/9781315517971

Ricatti, F. (2016). "Unico grande amore": AS Roma Supporters' Football Songs. *Italian Culture*, *34*(1), 34-48. https://doi.org/10.1080/01614622.2016.1138059

Shenouda, E. N. D. (2016). Ultras Between Social Movement and Terrorist Organization: An Exploratory Study on a Sample of Ultras Members, Security Forces, and Audiences in Greater Cairo. *Middle East Research Journal*, *4*(39), 1-32. https://doi.org/10.21608/mercj.2016.61259

Tamar, Y. (2017). *Foundations and Techniques of Content Analysis*. Algeria: University Publications Office.

Tuastad, D. (2014). From football riot to revolution. The political role of football in the Arab world. *Soccer & Society*, *15*(3), 376-388. https://doi.org/10.1080/14660970.2012.753541

Turan, Ö., & Özçetin, B. (2019). Football fans and contentious politics: The role of Çarşı in the Gezi Park protests. *International Review for the Sociology of Sport*, *54*(2), 199-217. https://doi.org/10.1177/1012690217702944

Wimmer, R. D., & Dominick, J. R. (2013). *Mass media research*. Wadsworth Publishing Company.

Woltering, R. (2013). Unusual Suspects: "Ultras" as Political Actors in the

Egyptian Revolution. *Arab Studies Quarterly*, *35*(3), 290-304. https://doi.org/10.13169/arabstudquar.35.3.0290

Zaimakis, Y. (2018). Football fan culture and politics in modern Greece: the process of fandom radicalization during the austerity era. *Soccer & Society*, *19*(2), 252-270. https://doi.org/10.1080/14660970.2016.1171214